تعظيم الله

درس من دروس رمضان ١٤٤٥ هـ

الشيخ/ محمد بن سند الزهراني

شبكة الألوكة
www.alukah.net

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على مَنْ لا نبي بعده.

وبعد ....

يقف المسلمون في صلاتهم خاضعين لله تعالى راكعين ساجدين، وإنه والله لشرفٌ عظيم أن يخضع العبد لمولاه وسيده وخالقه فينال بصلاته عظيم الأجر والثواب.

فالصلاة شأنها عند الله عظيم ومقامها في الإسلام كبير، وهي دليل محبة الله تعالى ورجائه، والخوف منه، وهي أعظم المقامات ذلًا لله تعالى، والركوع والسجود أبين المواضع فيها ذُلًا لله تعالى، وهما ركنان من أركان الصلاة لا تصح الصلاة إلا بها، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الحج:٧٧].

هذا الدرس مخصص لركن الركوع: انحناء يُقصَد بِهِ تعظيم الله وإجلاله فالواجب على المصلي إذا ركع أن يستحضر أنه ما ركع إلا خضوعًا له وطاعةً لله، وأنَّ الله مطلع عليه، فيقول تعظيمًا وإجلالًا لله تعالى ... سبحان ربي العظيم.

ما معنى سُبحان ربِّي العظيمِ؟

التسبيح معناهُ التنزيه، فنحن ننزه الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَى-:

المقام الأوَل: عن الشبيه، وعن العيب، وعن النقص، وننزه الله -جَلَّ وَعَلَا- عما يقول الظالمون علوًا كبيرًا، يركع هذا الجسد تعظيمًا لله، ويلهج اللسان مستشعرًا هذه العظمة لله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى-، وقبل أنْ يلهج اللسان ويركع الجسد ركع القلب، وخضع، وعظَّم الرب -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى-.

قال الله -جَلَّ وَعَلَا-: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ﴾[الشورى:١١]، نثبت لله -جَلَّ وَعَلَا- صفة السمع والبصر وسمع الله وبصر الله لا يشبه أحدًا من خَلقِهِ.

فكما أنّ لنا سمعٌ وبصرٌ يليق بنا، فالله -جَلَّ وَعَلَا- لهُ سمعٌ وبصرٌ يليق بجلالهِ وعظيم سلطانهِ، **وعندما نقول في ركوعنا**: سُبحان ربِّي العظيمِ فلا نشبه الله بأحدٍ من خَلقك يا الله، ولله تسعًا وتسعين اسمًا يليق بجلالهِ وعظيم سلطانه.

المقام الثاني:

ننزه الله عن النقص، أما قال اليهود: ﴿ إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ﴾[آل عمران:١٨١]، ونقول نحن أهل الإسلام: سُبحان ربِّي العظيمِ، ننزه الله عما قال الظالمون علوًا كبيرًا.

المقام الثالث: ننزه الله عن النقص:

ففي قول الله -جَلَّ وَعَلَا-: ﴿ لا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلا نَوْمٌ لَهُ﴾[البقرة:٢٥٥]، ننزه الله عن السِنة والنوم، فهي بالنسبة للبشر كمالٌ؛ لأننا أهل النقص، ونقصنا لا يكتمل إلا بهذا، أما ربنا جل جلاله وتعالى جدَّه فهو منزهٌ عن ذلك فله الكمال المطلق سبحانه وتعالى بحمده.

إذًا هذه ثلاث مقامات:

١- ننزه الله عن الشبيه.

٢- وننزه الله عن النقص.

٣- وننزه الله -جَلَّ وَعَلَا- عن العيب.

ثم ننزه الله -جَلَّ وَعَلَا- عما يقول الظالمون علوًا كبيرًا.

أما قال النصارىٰ أنّ عيسىٰ ابن الله، فيقف المسلمون راكعين خاضعين لله، ويقولون: سبحان الله، أما قال اليهود: عزيرٌ ابن الله، فيردد أهل الإسلام: سبحان الله، أما قال المشركون أنّ الملائكة بنات الله فيأتي! أهل الإسلام بتعظيمهم وإجلالهم وتوقيرهم لله فيقولون: سبحان الله!

فما أطهر هذه الأفواه! وما أعظم هذه الأجساد! وهي تركع وتعُظِم الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ-، إنهُ حقّ الله الأعظم، إنهُ التعظيم الَّذِي نرتقي بهِ في صلاتنا، ونحن نركع لله -جَلَّ وَعَلَا-، **فإذا انصرفنا من صلاتنا فينبغي أنْ نستشعر هذا التعظيم في حياتنا كلها، والله لو امتلأت قلوبنا تعظيمًا لله للازمنا محبة الله -جَلَّ وَعَلَا- في كل أحوالنا. والله المستعان.**

إذا أردنا أنْ نعُظِم الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ-، فإنهُ ينبغي لنا أنْ ننظر إلىٰ مظاهر عظمة الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ-: ليزداد بذلك الإيمان ويمتلئ القلب تعظيمًا وإجلالًا لله تعالىٰ.

فمن مظاهر عظمة الله أنْ نقرأ القرآن الكريم؛ لنقف مع هذه الآيات القرآنية الَّتِي ذكرها الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ- في كتابه، وعندما نقرأها فإننا نستشعر فيها عظمة الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ-.

أنظروا إلىٰ الأرض ونحن نراها بمساحتها الهائلة؛ وبما فيها من الأشجار والأحجار والأنهار والبحار والمحيطات، قال الله عنها: ﴿وَالأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ [الزمر:٦٧]، لا إله إلا الله ما أعظمه من ربٍّ جل جلاله!

وهذه السماوات ليست سماءً واحدة، وإنما سبع سماوات، وما بين كل سماءٍ وأخرىٰ مسيرة خمسمائة عام، وسمك كل سماءٍ خمسمائة عام، يقول الله -جَلَّ وَعَلَا- عن هذه السماوات العظيمة: ﴿يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعْدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ﴾ [الأنبياء:١٠٤].

قال حبيبكُم -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ-: «مررتُ ليلةَ أسريَ بي على الملأِ الأعلى فإذا جبريلُ كالحلسِ البالي»، وقال -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ-: «أَطَّتِ السَّماءُ، وحُقَّ لها أن تَئِطَّ، والَّذِي نفسي بيده ما فيها موضعَ أربعِ أصابعٍ إلا وملكٌ واضعٌ جبهتهُ، ساجدًا لله؛ والله لو تَعْلَمُونَ ما أعْلَمُ، لَضَحِكْتُمْ قَلِيلًا ولَبَكَيْتُمْ كَثِيرًا».

❁ من معاني عظمة الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَى-: أنْ ننظر إلى مظاهر عظمة الله فيما خلق الله، وفيما نعلم أنّ من أعظم ما خلق الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَى جبريل عليه السلام، يقول -الحق سبحانه: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلائِكَةِ رُسُلًا أُولِي أَجْنِحَةٍ مَثْنَى وَثُلاثَ وَرُبَاعَ يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [فاطر:١]

خلق الله لجبريل عليه السلام ستمائة جناح، تجلى جبريل للنبيّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- ليراه، أراد جبريل عليه السلام أنْ يُفرِد جناحيهِ في الأرض، هذه الأرض على رَحابتها لم تسع أجنحة جبريل عليه السلام.

قال الحق -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- عن جبريل عليه السلام، ﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى (١) مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى (٢) وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى (٣) إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى (٤) عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى (٥) ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَى وَهُوَ بِالأُفُقِ الأَعْلَى (٧) ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى (٨) فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى (٩) فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى﴾[النجم:١-١٠]

★ استوى إلى الأُفق الأعلى، صعد إلى الأُفق الأعلى، وإذا بالنبي -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ- يرى جبريل على صورتهِ الحقيقية، هذا مظهرٌ من مظاهر عظمة الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَى.

وهل هناك ما هو أعظم من جبريل؟! نعم، النبيّ -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ- قال: « أُذِن لي أن أتحدَث عن ملَكٍ واحدٍ من حملةِ العرشِ ﴿ وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ﴾[الحاقة:١٧]، واحدٌ من الملائكة ما بينَ شحمةِ أُذنيهِ وعاتقِه، مسيرةُ سبعمائةِ عامٍ».

فلا إله إلا الله، مَنْ هو الَّذِي خلقه؟! إنهُ الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَى-، هذا هو العظيم -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى-، وإذا أردنا أنْ ننظر إلى عظمة الله.

❁ **فمن مظاهر عظمة الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَى-:** القلم، أوَل ما خلق الله القلم، فقال الله له: «**اكتب، قال: وما أكتب! قال: أكتب ما كان، وما يكون إلى قيام الساعة**»، فكتب القلم بأمر الله ما كان وما يكون وما سيكون إلى يوم القيامة؛ لأنّ الله يعلم ما كان وما سيكون وما لم يكن لو كان كيف يكون.

فهو -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- يعلم مقادير كل شيء.

❁ **ومن عظمة الله كتابة المقادير أجرى الله علينا في الكتابة أربع أقلام:**

❁ **القلم الأوَل:**

هو القلم الأزلي، قبل أنْ يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة في اللوح المحفوظ.

❁ **وأمّا القلم الثاني الَّذِي أجراهُ الله علينا جميعًا:**

فهو القلم العمري، كنا في بطون أمهاتنا مُضغة، فنُفخَت فينا الروح أجرى الله -جَلَّ وَعَلَا- علينا القلم، بكتابة أرزاقنا وأجلنا وعملنا وهل نحن من أهل الشقاء أم من أهل السعادة.

❁ **ثم القلم الثالث:**

الحولي في ليلة القدر، إذا كانت الليلة ليلة القدر ففيها المقادير الَّتِي سيكتبها الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- لنا في سنةٍ كاملة يرفع مَنْ يشاء، ويُعز مَنْ يشاء، ويُذِل مَنْ يشاء، يُغنِي مَنْ يشاء، ويُفقِر مَنْ يشاء، يُمرِض مَنْ يشاء، ويُصِح مَنْ يشاء، ويحيي مَنْ يشاء، ويميت مَنْ يشاء.

✡ **القلم الرابع: التقدير اليومي**، كل يومٍ هو في شأن، يرفع ويخفض -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى-، يغني ويفقر كل يوم هو في شأن سبحانه.

✎ **ومن مظاهر عظمة الله ونحن نستشعر كتابة المقادير**، لو نظرت في صحيفتك اليومية الَّتِي يدون فيها الملائكة هذه الأعمال؛ لوجدت أنها متوافقةٌ مع التقدير اليومي، والتقدير اليومي متوافقٌ مع التقدير السنوي، والتقدير السنوي متوافقٌ مع التقدير العمري، والتقدير العمري متوافقٌ مع التقدير الأزلي قبل أنْ يخلق الله السماوات والأرض بخمسين ألف سنة، فلو نظرت إلى صحيفتك فكأنما نُسخَت من اللوح المحفوظ قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة، فلا إله إلا الله، **هذا هو العظيم -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى-**، هذه عظمة الله.

✍ **ومن مظاهر عظمة الله**، أن ننظر إلى أدنى ما خلق الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَى-، وأحقر ما خلق الله، وأضعف ما خلق الله فمما نراه بأعيننا هي هذه البعوضة، ﴿إِنَّ اللَّهَ لا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا﴾ [البقرة:٢٦].

البعوضة وضعت تحت مجهر إلكتروني وكُبِر ما يقارب أكثر من ألف مرة، **فماذا وجدوا فيه؟** انظروا إلى عظمة الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَى-، في رأسها مائة عين، وعندها ثمانية وأربعين سنًا، لها ثلاثة قلوب؛ قلب مركزي، ولكل واحدٍ من هذه الأجنحة له قلبٌ مستقل، وزنها واحد على الألف من الجرام، عندها جهاز استقبال حراري، وكذلك الخرطوم الَّذِي في فمها عندما تقع على يدك فإنها تأخذ جزء من الدم من أجل أنْ تحلل هذا الدم؛ فإن كنت صحيحًا مُعافى أخذت ما تحتاجه من الدم.

✍ **جعل الله -لها ست سكاكين**؛ أربعة منها من أجل أنْ تفتح فتحة مربعة لا تراها بالعين المجرد، وأمّا اثنان فهي الَّتِي تسحب الدم، وفي خرطومها عندما تضع هذه السكاكين مخدر فإذا وضعت المخدر لا تشعر بإدخال هذه الإبرة في داخل جسدك.

ثم دمُ الإنسان ثقيل سميج، أعطاها الله -جَلَّ وَعَلَا- مسيلات تضعها على الدم من أجل أنْ يجري الدم في أنابيبها الَّتِي لا نراها بالعين المجردة.

هذا خلق الله، ﴿إِنَّ اللهَ لا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا﴾ [البقرة:٢٦][1].

☜ **عندما نطيل ركعونا في صلاة التهجد**، سُبحان ربِّي العظيمِ، فإننا نعظِم الله، فاستشعروا عظمة الله من خلال هذه المظاهر وتدبروا تسبيحكم لله في الركوع، تنزيهًا لله من العيب والنقص والشبه وتنزيهًا لله عما يقول الظالمون علوًا كبيرًا.

والله أعلم وصلى الله على نبينا محمد والحمد لله رب العالمين، وجزاكم الله خيرًا.

١ المصدر (دليل التعليم الأول بالشرق) (إدأرابيا) مواقع إلكترونية.